والصَّوابُ في كثيرٍ مِنْ آياتِ الصِّفاتِ وأحادِيثِها : القَطْعُ بِالطَّرِيقَةِ الثَّابِتَةِ كالآياتِ والأحادِيثِ الدَّالَّةِ على أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتعالىٰ فَوْقَ عَرْشِهِ ، وتُعْلَمُ [1] طَرِيقَةُ الصَّوابِ في هذا وأمثالِهِ بِدَلالَةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ والإجْماعِ علىٰ ذلك دَلالَةً لا تَحْتَمِلُ النَّقِيضَ ، وفي بَعْضِها قَدْ يَغْلِبُ علىٰ الظَّنِّ ذلك مَعَ احْتِمالِ النَّقِيضِ .

وتَرَدُّدُ المُؤْمِنِ في ذلك هو بِحَسَبِ ما يُؤْتاهُ مِنَ العِلْمِ والإيمانِ ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور] .

وَمَن اشْتَبَهَ عليه ذلك أوْ غَيْرُهُ فَلْيَدْعُ بما رَواهُ مُسْلِمٌ في صحيحِهِ عَنْ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : كان رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا قامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي يَقُولُ : «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ ومِيكَائِيلَ وإسْرَافيلَ فَاطِرَ السَّماواتِ والأَرْضِ عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِني لِمَا اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ الحَقِّ بِإذْنِكَ إنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» [2] .

وفي روايَةٍ لأبي داوُدَ : «كان يُكَبِّرُ في صَلاتِهِ ثُمَّ يقولُ ذلك» [3] .

---

(١) في «ل» ، و«ع» : «ونَعْلَمُ» ، وفي «ح» ، و«س» : «ويعلم» .

(٢) رواه مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧٠) .

(٣) رواه أبو داود (١/ ٣٤٣ رقم ٧٦٨) . وفي «ظ» : «أنه يكبر في ..» .

فإذا افْتَقَرَ العَبْدُ إلىٰ الله ودَعاهُ ، وأَدْمَنَ النَّظَرَ في كَلامِ اللهِ ، وكَلامِ رَسُولِهِ ، وكَلامِ الصَّحابةِ والتَّابِعينَ ، وأئمَّةِ المُسْلِمينَ : انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الهُدَىٰ .

ثُمَّ إنْ كان قَدْ خَبَرَ نِهاياتِ إقْدامِ المُتَفَلْسِفَةِ والمُتَكَلِّمِينَ في هذا البابِ ، وعَرَفَ غالِبَ ما يَزْعُمُونَهُ بُرْهانًا وهو شُبْهَةٌ ، ورأىٰ أنَّ غالِبَ ما يَعْتَمِدُونَهُ :

يَؤُولُ إلىٰ دَعْوَىٰ لا حَقِيقَةَ لها .

أو شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِياسٍ فاسِدٍ .

أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لا تَصْلُحُ إلَّا جُزْئِيَّةً .

أَوْ دَعْوَىٰ إجماعٍ لا حَقِيقَةَ له (١) .

أو التَّمَسُّكِ (٢) في المَذْهَبِ والدَّلِيلِ بِالألفاظِ المُشْتَرَكَةِ .

ثُمَّ إنَّ ذلك إذا رُكِّبَ بألفاظٍ كثيرةٍ طويلةٍ غريبةٍ عندَ مَنْ لم (٣) يعرِفِ اصطلاحَهُمْ ، أَوْهَمَتِ الغِرَّ ما يُوهِمُهُ السَّرابُ لِلْعَطْشانِ ،

---

(١) في الأصل : «لها» ، والمثبت من «ظ» ، و«ك» ، و«ل» ، و«ح» ، و«ف» ، و«س» و«العقود الدرية» (١٤١) .

(٢) في الأصل ، و«ح» ، و«ف» ، و«س» : «والتمسك» .

(٣) في الأصل : «غرَّ من لم» ، وفي «ظ» ، و«ل» ، و«ع» ، و«س» ، و«العقود الدرية» : «عمَّن لم» ، وفي «ح» :«فمن لم» ، وفي «ف» : «عمن لا» ، والمثبت من «ك» .

ازْدادَ إيمانًا وعِلْمًا بما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ ، فإنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ .

وكلُّ مَنْ كان بالباطِلِ أعْلَمَ كان للحَقِّ أشدَّ تعظيمًا ، وبقدرِهِ أعرَفَ [إذا هُدِيَ إليهِ] [(١)] .

فأمَّا المُتَوَسِّطُ مِنَ المُتَكَلِّمينَ فيُخافُ عليه ما لا يُخافُ علىٰ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فيهِ ، وعلىٰ مَنْ قَدْ [(٢)] أنْهاهُ نِهايَتَهُ ، فإنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فيهِ هو في عافيةٍ ، ومَنْ أنْهاهُ قَدْ عَرَفَ الغايَةَ ، فما بَقِيَ يخافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ ، فإذا ظَهَرَ لَهُ الحَقُّ وهو عَطْشانُ إِلَيْهِ قَبِلَهُ ، وأمَّا المُتَوَسِّطُ فَمُتَوَهِّمٌ بِما تَلَقَّاهُ [(٣)] مِنَ المَقالاتِ المَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظِّمِهِ وتَهْويلًا .

وَقَدْ قال النَّاسُ : أَكْثَرُ ما يُفْسِدُ الدُّنْيا : نِصْفُ مُتكَلِّمٍ ، ونِصْفُ مُتَفَقِّهٍ ، ونِصْفُ مُتَطَبِّبٍ ، ونصفُ نَحْوِيٍّ ؛

هذا يُفْسِدُ الأدْيانَ ، وهذا يُفْسِدُ البُلْدانَ ، وهذا يُفْسِدُ الأبدانَ ، وهذا يُفْسِدُ اللِّسانَ .

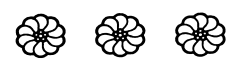
ومَنْ عَلِمَ أنَّ المُتَكَلِّمينَ مِنَ المُتفَلْسِفَةِ وغيرِهِمْ [هُمْ] [(٤)]

---

(١) من «ظ» ، وفي «ظ» : «يعرف» بدل «أعرف» .
(٢) في «ظ» : «فقد» .
(٣) في الأصل ، و«ل» : «يلقاهُ» ، والمثبت من «ظ» ، و«ك» ، و«ع» ، و«ح» ، و«ف» ، و«س» ، و«العقود الدرية» (١٤٢) .
(٤) من بقية النسخ .

في الغالِبِ في : ﴿ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات] ، يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُم العاقِلُ : أنه ليس هو فيما يَقُولُهُ[1] علىٰ بصيرةٍ ، وأنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ ببَيِّنَةٍ ، وإنما هي كما قيل [فيها][2] :

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا
حَقًّا وكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ[3]



وَيَعْلَمُ العَلِيمُ البصيرُ أنهم :

مِنْ وجهٍ مُسْتَحِقُّونَ ما قاله الشَّافعيُّ رضي الله عنه حَيْثُ قال : «حُكْمِي في أهلِ الكلامِ أنْ يُضْرَبُوا بِالجَرِيدِ والنِّعالِ ، ويُطافَ بِهِمْ في القَبائِلِ والعَشائِرِ ويُقالَ : هذا جَزاءُ مَنْ تركَ الكتابَ والسُّنَّةَ وأقبَلَ علىٰ الكلامِ»[4] .

---

(١) في «ل» : «يقول» .
(٢) من بقية النسخ .
(٣) ذكره أبو سليمان الخطَّابي في كتاب «الغنية عن الكلام وأهله» كما في «صون المنطق» للسيوطي (٩٩) ، ونسبه شيخ الإسلام إلىٰ الخطابي كما في «الانتصار لأهل الأثر» (٤٣) .
(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٦) ، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٧٨) ، وابن عبد البر في «الانتقاء» (١٣٤) ، والأصبهاني في «الحجة» (١/ ٢٠٨) ، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٨) ، والعمراني في «الانتصار» (١/ ١٣٠) .
قال الذَّهبي في «السير» (١٠/ ٢٩) : «لعلَّ هذا متواترٌ عن الإمام» .

وَمِنْ وجْهٍ آخَرَ : إذا نَظَرْتَ إلَيْهِمْ بِعَيْنِ القَدَرِ [(١)] -والحَيْرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ ، والشَّيْطانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيهِمْ- رَحِمْتَهُمْ ، ورَفَقْتَ عَلَيهِمْ :

أُوتُوا ذَكاءً وما أُوتُوا زُكاءً ، وأُعْطُوا فُهُومًا وما أُعْطُوا عُلُومًا ، وأُعْطُوا أَسماعًا [(٢)] وأبصارًا وأفئدةً : ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٦] .

وَمَنْ [(٣)] كان عِلِيمًا بِهَذِهِ الأُمُورِ تَبَيَّنَ لَهُ بِذلك :

حِذْقُ السَّلَفِ ، وعِلْمُهُمْ ، وخِبْرَتُهُمْ ؛ حَيْثُ حَذَّرُوا عَنِ الكَلامِ ونَهَوْا عَنْهُ ، وذَمُّوا أهلَهُ وعابُوهُمْ .

وعَلِمَ أنَّ مَن ابْتَغَىٰ الهُدَىٰ في غَيْرِ الكِتابِ والسُّنَّةِ لَمْ يَزْدَدْ [من اللهِ] [(٤)] إلَّا بُعْدًا .

---

(١) في الأصل : «العذر» ، والمثبت من بقية النسخ ، و«العقود الدرية» (١٤٣) ، ومن كلام الإمام ابن القيم في «النونية» (١/ ١٠٤ رقم ٢٥١-٢٥٥) حيث صاغ كلام شيخه في شعره .

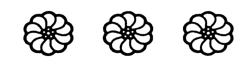
(٢) كذا في الأصل و«ظ» ، وفي بقية النسخ : «سمعًا» ، وجاء في «ظ» : «أعطوا فهمًا وما أعطوا علمًا ، أعطوا أسماعًا» .

(٣) في «ظ» : «فمن» .

(٤) من «ظ» .

فنسألُ اللهَ العَظِيمَ [1] أنْ يَهْدِيَنا صِراطَهُ [2] المُسْتَقِيمَ ، صِراطَ الذينَ أنعَمَ [3] عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، ولا الضَّالِّينَ ، آمِينَ .

آخرُ «الحَمَويَّةِ الكُبرىٰ» [4]



(١) زاد في «ف» : «رب العرش الكريم» .

(٢) في «ظ» ، و«ف» ، و«العقود الدرية» (١٤٤) : «الصِّراطَ» .

(٣) في «ظ» ، و«ل» ، و«س» : «أنعمتَ» ، وفي «ف» : «أنعم الله» .

(٤) في الأصل : «والحمدُ للهِ وحدَه ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآل وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين .
ووافق الفراغ منها يوم الأربعاء السَّابع والعشرين مِن رجب من شهور سنة ثلاثين وسبعمئةٍ .
تعليق العبد المُقصِّر بل الخاطئ المُذنب الفقير إلىٰ رحمةِ ربِّه ومغفرتِه وكرمِه أيوب بن أيوب بن صخر بن [ ] بن صخر بن أبي الحسن بن خالد بن وثيق بن بقاء بن مساور العامري بمدينة حمص المحروسة بالشام المحروس .
غفر الله له ، ولمن أجابه بها ، ولمن تأمَّلها ، واتَّصفَ فيها ، وامتَثَلَ منها ما يجب ، وأعرض عن الأهواء والريب ، ولسائر المسلمين آمين . آمين . آمين» .
وكتب بالهامش : «بلغ المقابلة ، قوبلت علىٰ أصلِها فصحَّت علىٰ حسب الطاقة» .

